القصص

دراسة من اسخيلوس

٣ ـ محاكمة أورست

The Eumenides

(الدراسة الثالثة من الأورستيه)

تتمة

للأستاذ دريني خشبه

— ١٠ —

واهتزت مينرفا فوق عرشها المرصّد ، وتوجهت بالقول إلى المحلّفين العدول من الأثينيين :

— « أيها الأثينيون ! أنتم يا من اجتمعتم للنظر معي في قضية هذا الدم المسفوك لأول مرة في تاريخ الانسانية ! اسمعوا

وقد ظن البعض أن هذه الرواية وليدة الخيال فمن المحال أن يقع في الحياة ما يشابهها ، ولكن الحوادث أثبتت أن في الحياة مشكلات لا تقل في غرابتها عن فن بيراندللو ، فقد وقعت في بودابست أخيراً حادثة تزوير ، ارتكبها شاب يدعى فرادلبير ، وفر إلى بلاد أخرى تاركا زوجه وطفلة ، فاقترنت المرأة بعد أن يئست من عودة الزوج وأنجبت من زوجها الجديد طفلا ، وقد رجع الزوج الأول بعد مرور أربعة عشر عاما ووصل إلى علمه زواج امرأته ! وشغلت القضية أذهان الجمهور زمناً وأصبحت حديث الأندية والمجتمعات إلى أن مثلت مسرحية بيراندللو هناك فظن أكثر الناس أن المؤلف إنما يشير الى هذه الحادثة بينما هو كتب مسرحيته قبل الحادثة بثمان سنوات !

(يتبع)

محمد أمين حسونة

وعوا ! إن شعب ايجيوس[1] العظيم ليتلفّت في أقصى الأرض ينظر هل ما يزال هذا البيت الذي أسّس على التقوى وشيدت دعائمه على العدل ، عند حسن ظنهم به ، ورجائهم فيه ! ؟ إن بحسب الأكروبوليس فخرا أن أقامته الأمازون تقديساً لمجد إرس الخالد ، إذ كن يقتفين أثر ثيذيوس ، فنسين ذَحَلَهن ، واطّرحن إحَنَهُن ، لأنه لاذ بهذا الجبل . . . فهل كثير أن تنسوا أضغانكم ، قبل أن تعطوني موثقكم ، فلا تميلوا ولا تحيدوا ، ولا تعدلوا عن سبيل الحق ، حين تعطون أصواتكم ، إما لأورست ، وإما عليه ! ! إنكم هنا لا تخشون عنتا ولا ترهبون رهقا ، وإنكم لرضيّون مخلصون ، وإنكم لتتفجّر قلوبكم حنانا ورحمة ! وإني هنا لأباركم ، وأنزل شآبيب رحمتي عليكم ، مادمتم خابتين خاشعين ، تصدّعون من خشيتي ! وإني أبدا ساهرة عليكم ، أوليكم معروفي ، وأرزقكم بركتي فأنتم داعماً شعبي ، وأنتم آخر الدهر أمتي . . هلموا إذن فاكتبوا أصواتكم ، ونقوا سرائركم ، وبَرّوا أيمانكم ، ألا تميلوا ولا تأثموا . . . وحسبكم ما قدمت لكم ! ! »

وهوّمت ربات الذعر تهويمة ثم قالت :

— « على أننا نرجو ألا يحتقرنا اللاّ ، وألا تعدى وجود في أرضك تدنيساً لها ! ! »

فينهض أبوللو ويقول : « بيد أني أحذركن يا ربات ، ألا تجعلن نبوءاتي عبثاً ، فان أبي سيد الأولمب يؤيدني فيها جميعا »

— « نبوءاتك عن آثام الفَجَرَةِ الكفَرة ، التي ستلطخ الانسانية منذ اليوم ! ! »

— « وأنن كنتن يا ربات يوم أن قتل إكسيون[2] أبا

---

(١) إيجيوس ملك أثينا وابنه ثيذيوس الذي قتل المينوطور وقد نشرنا أسطورته في الرسالة (السنة الثالثة)

(٢) تزوج إكسيون ملك لاريسا ابنة رجل على أن يفقده مبلغاً كبيرا من المال ، فلما تم الزواج أبى أن يدفع شيئاً وطلق الرجل يطالبه فلما

زوجة ... أبي قد اقتص منه بيده ؟ »

— « إهرف يا أبوللو بما شئت ! ولكن ثق أننا لن نبرح هذه الأرض مادمت أنت فيها تحض على القتل ، وتحرض على الجريمة وتغوى الناس على الفساد ! »

— « ولن تبرح الآلهة ، كباراً وصغاراً ، تحمى عبادها من شرورك ! »

— « كما تحمى عبدك الآن وقد ارتكب أشنع الجرائم ، وكما تحمى عبادك دائماً ؟ »

— « وإذا لم تحم الآلهة عبادها وتدركها بالرحمة وقت الشدة فمتى تصنع هذا ؟ »

— « ولم يبق إلا أن ترشوا صغيرات الآلهة بقدح من الخمر فيضللن ضلالك ، وتنعكس الشرائع ! ؟ »

— « وليتنى أستطيع إضلالكن فلا تجرمن البرايا بعودكن ! ! »

— « هيه ! ! لقد عيل صبرنا ! ! ألا متى ننتهى من هذه القضية فنترك لك هذه الأرض بمن فيها ! ! »

(وحين يفرغان من هذا الحوار يكون المحلفون قد فرغوا من وضع الأوراق التى تشمل أصواتهم فى صندوق الاقتراع ... ...)

ثم تقول ميزرقا : « وعلى الآن أن أبدى رأيى حراً بحيث لا يتأثر به أحد منكم !

أنا فى صف أورست ! ! أجل أنا فى صف أورست ! ! أنا ميزرقا ، التى لم تلدنى أم [1] ، لا أبالى كثيرا بأم قتلت لأنها خانت بعلها ، وذبحته ، وخربت بيتها من معانى الأبوة والأمومة طوبى لك يا أورست ! إذا تساوت الأصوات لك وعليك فان صوتى يرجح حقك ، ويؤزر براءتك !! طوبى لك يا أورست !

فينتشى أورست من رهبة وفرح ويقول ، مخاطباً أبوللو « يا إلهى أبوللو ! النتيجة يا إلهى ! ! لى أم على ؟ ! »

ونلحظ ربات الذعر ما ترمقها به الأنظار المستهزئة فتخاطب ميزرقا قائلة : « أيتها الربة ميزرقا ! أترين إليهم كيف يلمزوننى ؟!

فيقول أورست : « إن ساعة خلاصى أو نجاتى تقترب حثيثة ! ! »

فتقول ربات الذعر : « وإن ساعة إثبات حقوقنا أو تجريد منها لتقترب حثيثة أيضاً !

ويهتف أبوللو بمن يفرزون الأصوات قائلاً : رويدكم أيها الفرازون ! دققوا جهدكم فى فرز الأصوات ! وإياكم أن تخطئو فى واحد منها ، فرب زلة من أحدكم تقلب الحق زوراً ، وترسل البرىء إلى سواء الجحيم ! ! »

ويسر رئيس الفرازين كلاماً إلى ميزرقا فيعلو البشر أسارير وجهها وتقول : « بشراك يا أورست ! لقد وضع عنك وزرك واطهرت من هذا الدم ! ! الأصوات متساوية لك وعليك ؛ وصوتى يبرئك ويرجح حقك ! فالبشرى لك ! »

ويستولى على أورست طائف من الذهول ، فيسجد بين يدى ميزرقا ويقول :

— « ميزرقا ! إلهة العدالة ! تباركت وتقدست ! اليوم فقط صرت خليقاً بأن أكون مواطناً من آرجوليس ! لقد نشأت فى دار غربة ، نضوم وخليف آلام ، ولم أكن أفكر إلا فى الخلاص من حياتى المرة المترعة بالتاعب ، فتردين لى أنت اعتبارى وطمأنينتى وميراثى فى عرش آبائى . . . فى لحظة عادلة تحت بيتك المكرم ! ! تقدست وتباركت يا ميزرقا ! يا ابنة زيوس سيد الأولمب العظيم ! زيوس حارسى الأمين ، الساهر على رعاياه من ذروة جبل إيدا ! سلام إلى الأبد يا ميزرقا المباركة سلام الى الأبد بين آرجوليس وبين آثينا الخالدة التى تباركينها وتحرسينها ؟ ان تكون بينهما حرب ما عشت ، فاذا قضيت فلن تكون حرب بينهما كذلك ! فاذا حدثت أميراً من أمراء آرجوس نفسه بأن تكون هذه الحرب ، فسأنتفض تحت ركامى لأجعل حياته شقوة لا تحتمل ، وأروعه بأطياف من الذعر تأخذ عليه

ألحف عليه قتله إكسيون فثار الأولمب لأنها كانت جريمة القتل الأولى فى حياة الانسانية وجىء بالقاتل أمام زيوس فاستطاع أن يقنعه بما عمل وكاد زيوس يعفو عنه لولا ما لحظ من نظرات إكسيون الشهوانية إلى زوجة الربة حيرا فأمر به فربطه فى عجلة مشتعلة وجعل يطوف بها السموات

(١) جاء فى الثيولوجية أن ميتيس — إحدى زوجات زيوس — تنبأت له أنها ستضع ولداً يغتصب الملك من أبيه كما صنع هو بأبيه من قبل فاضطرب زيوس وآلى ألا يكون من ذلك شىء فابتلع زوجه هذه ليخلص من شر نبوءاتها ولكن آلاما مبرحة انتابته ثم شعر فى رأسه بدوى وبرحاء فأمر فلكان أن يشجه ببلطه الكبير ، فلما فعل خرجت ميزرقا من الرأس وذلك قولهم إنها لم تلدها أم — ومن هنا أنها كانت إلهة الحكمة والعدالة

يله أنى توجه ، وتصير أيامه ظلمة ، وأضواء الحياة فى قلبه ينيه مرارة ودبجورا ! هذا موثق وتلك أقسامى يا ربة العدالة ! إذا حافظ شعبى على السلام بين بلادينا ، فسأرفرف عليه بالمحبة صل من أجله فى أعماق هيدز ! وداعاً ياميزفا ! وداعاً ياحارس ينا الأمين ! زيدى فى مجدها واصنحيها البركة والخلود ! »

(ويسجد سجدتين ويغادر الأكروبوليس)

— ١١ —

أمارات الذعر فتأخذهن الحنقة ، وتضطرم نفوسهن بالغضب تتقلب كل منهن بركانا يقذف بالحم ؛ ويطفقن يتوعدن ويزمجرن ويتغنين نشيداً من أناشيد الجحيم جرسه رعد ، ونغمه شواظ من نحاس يتردد فى أفواههن ، ويتحشرج فى حلوقهن ، ثم ينذرن ألا يذرن على أرض ميزفا مسبحاً باسمها ولا ديار ؛ وينهين نشيدهن بالبكاء على مجدهن الضائع ، والرثاء لحقهن المغصوب . فتهتف ميزفا بهن :

— « على رسلكن يا ربات ! فيم هذا الغضب ، وهذه الضجة لِمَهْ ؟ ! لقد رضيتن بى حكما فيما اختلفتن فيه ، ولقد أخذ العدل مجراه ، وسارت القضية بكل أمانة وكل احسان ... ولقد كانت براءة أورست ناصعة بحيث يكون من الظلم لو أننا أخذناه بما أردتن أخذه به ... فلنفىء جميعاً الى الحق ، فهو دائما أبلج ... ... علام هذا النذير يا ربات ؟ ما لأثينا الخالدة الآمنة النائمة فى رعايتى ، الغارة فى كنفى ، وما لهذا الضغن الذى يغلى فى قلوبكن ؟ ! قرين بكن ألا تكن حربا على هذا الشعب الذى يسبح باسمى ويولى وجهه شطر معبدى ، وأنا أضمن لكن محبته ، وأضمن لكن اجلاله ، وأضمن لكن أن يقيم الهيا كل باسمكن ، ويطنّب المعابد لكن . . .

— ١٢ —

ولكن ربات العذاب تغلو فى النذير غلوا لا يليق بالآلهة ، وتعود إلى ترديد النشيد المقوت ، نشيد جهنم الذى كله قصف وكله رعد ، فترى ميزفا أن تأخذهن هذه المرة بالحزم ، إشفاقا منها على أثينا الخالدة أن يصيبها مكر ربات العذاب

— « إذن ... فأنتن تعرفن أننى وحدى أملك مفاتح زيوس ... أبى ... سيد الأولب ! أجل ... أنا صاحبتها ... وهى مسخرة لى وحدى ، من دون الآلهة أجمعين ... مفاتح زيوس ، مفاتح نقمته ... نقمته ... هل سمعتن ؟ ! المفاتح التى إن أردت حركتها فأرسلت عليكن صواعق السماء وشهبها الرواصد ! وهنالك ، وهنالك فقط ، تندمن على مافرطتن فى حق ، وهنالك تلقين السلم راغمات يا ربات ، وهنالك أيضاً تسلم أثينا من شروركن ؛ وتسلم جنانها من خطكن ، وقصورها من خرابكن

هل هذا خير ؟ أم خير أن تقاسمنى محبة هذا الشعب البرىء فيسبح لكن ويقدم الضحايا لكن ، فتقطفن لأول مرة فى حياتكن أول ثمرة شهية من أولياء مخلصين ؟ ! »

— « ويلاه ! يا لسوء حظوظنا ، ويا لشؤم منقلبنا ؟ ! لقد رضينا بالقسمة الضيزى إذ تقسّم الآلهة الشمائر فى أول الأزل ، ورضينا بهذا المأوى المظلم الدجوجى فى أعماق السفل ، ورضينا بسخط الناس ومقت الأرباب لما اضطلعنا به من تعذيب المجرمين وأخذ الآثمين بآثامهم ... أفما كان بحسبنا كل أولئك حتى تجردنا صغار الآلهة حتى من هذا الحق المضيم ؟ ! ويلاه ! أدركينا يا أمنا الأرض ! الغوث الغوث يا آلهة الظلمة ... ! »

وتلحظ ميزفا أن تهديدها قد قل من غرب ربات الذعر ، فقللن من غلوائهن ، وخففن من خيلائهن ، فرأت أن تلين معهن ، وذلك من حسن سياسة ربة الحكمة :

— « أما لم أمتهن بحال ربة الأرض ، مولاتكن المقدسة ، ولم أمتهن كذلك آلهة الظلام ، فهم جميعاً أكبر منى سنا ، وأكثر تجربة ، ولكنى والحمد لأبى سيد الأولب ، قد رزقت من الحكمة والحصافة قدراً أتيه به على جميع الآلهة ، وأفاخر به كل الأرباب . على أننى أعرض عليكن أن تقمن معى فى هذا المعبد المبارك راضيات ، تتقبلن صلوات الشعب وأضحياته ، على أن توقينه غضبكن ، وتجتنبه أوزاءكن ،

عدد الرسالة الممتاز

للحال النفسية الأليمة التى يعانيها صاحب المجلة الآن

سيتأخر صدور هذا العدد قليلاً

وحسبكن منني ما هو حق خالص لي »

نقاسمك ؟! وأي نصيب يخلص لنا في معبدك يا ميزرفا ؟»

— « نصيب لا يصيبكن فيه غضب من الناس ولا من الآلهة ، فلا تأبينه ! »

— « أفان قبلنا غرضك . أفتكون لنا حقوق ثمة ؟ »

— « حقوق وأي حقوق ! لن تكون سعادة في بيت إلا بمشيئتكن ! »

— « وهل تضمنين لنا هذا ؟ »

— بحيث تباركن عبادكن يا ربات ، فلا تنزلن بهم رزاياكن ؟ ! »

— « وتؤكدين لنا هذا الحق طوال الأبد ؟ »

— ولماذا أعد ، وأنا في الخالدين لن أخسر شيئاً ؟ »

— « قديرة يا ميزرفا ! لقد أسكنت غضبنا ! »

— « ألقن معي إذن ، وا كسبن محبة شعبي ! »

— « وهل لنا أن نتغني أناشيدنا هنا ؟ (وأنتم تمقتونها يا آلهة ؟ !) »

— « تغنين ما شئتن (إلا أناشيد الجحيم) ، تغنين أناشيد الجمال والشمس المشرقة ، تغنين أناشيد القمر البازغ والطبيعة المتبرجة ، تغنين أناشيد اليمن والاقبال يا ربات ! تغنين أناشيد الاسعاد تمزجنها بموسيقى السماء ، وإني أباركها جميعا ، وقد أتغنى بها معكن ! »

— « إذن رضينا بما أشرت يا ميزرفا ! »

— « وإذن ، فاني أعاهدكن على الحق تارة أخرى ، وأن نحكم بالعدل بين ذوي الخطايا والأوزار ، فكل من تأكد لنا إجرامه ، فلكن أن تفتكن به ، وتؤاخذنه بما كسبت يداه !

— « ولك إذن ألا نضار أحدا ، وألا نمس حقلا ولا غيطا ولا بستاناً بأذى ... فليكثر الخير ! ولتمتلئ الأرض الخضم قطعاناً ؟ ولتمطر السماء منا وسلوى »

— « سجلوا أيها الأثينيون ! أيها الحالفون سجلوا ! سجل يا سادة أثينا ، واعلموا أن الشر إذا نزل بأهله فحسب ، فهو خير للجميع ! واعلموا كذلك أن من الخير ما ينبت من شر محض وأن لكم أن تأمنوا ربات العذاب ما دمتم مخلصين مطهرين ..

— « لتكن أرضهم منضورة بأفواف الزهر ، ولتبعد عنهم رزايا الزمان ؛ وليأمنوا غدرات الأيام ، وليرفرف عليهم في كل حين اليمن ، ولتباركهم السماء دائماً ! »

— « إذن تمت نعماؤنا يا ربات ، فليتم الى الأبد السلام ! »

وتأمر ميزرفا فيقام حفل ضخم ينشد فيه الجميع نشيد السلام ، ويضمخ المعبد بيخور المسك والعنبر والند ؛ ثم ينادي المنادي فيصمت الجميع لحظة ، وإذا هرمز الكريم يبدو من عليائه ؛ ويهبط قليلا قليلا ...

ويتقدم إلى ربات الذعر فيقودهن إلى مملكة السفل ... إلى عالم الظلمات .... إلى أعماق الأرض ، حيث مقرهن ، وحيث مستودعهن ! .....

* * *

وهكذا تكتفي أثينا شرهن بفضل ميزرفا الحازمة ... وهكذا يقر القصاص ولو من الآباء . . وهكذا يسود العدل ويعم الاحسان

دريني خشبة

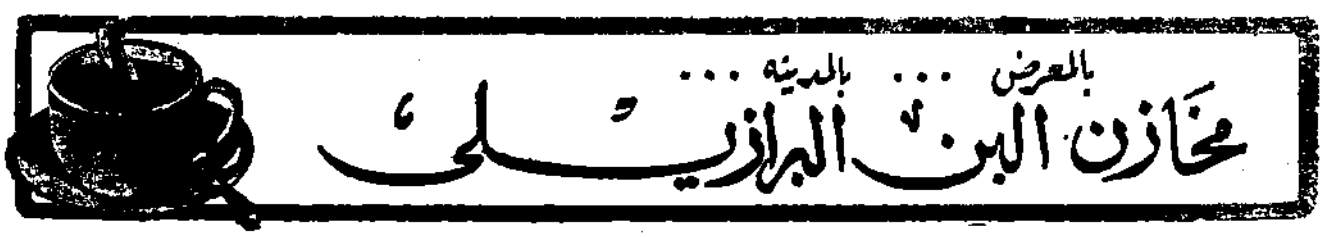

الخيال العاقل

(بقية المنشور على صفحة ٤٨٢)

بلاً كما كان واسع النفس طفلاً . إنه يجد ويعمل ، إنه يكد ويكدح ، إن الحياة تبسم له أحياناً ، إن الناس من حوله يحبونه ويقدرونه ويكبرونه ويثقون به ، ويطمئنون إليه ويلتمسون به العافية والسلم ، ويحكمونه فيما يشجر بينهم من خلاف ، فلا يعرضه ذلك لبطر ولا لأشر ، لأن الله قد قطع الأسباب بين نفسه المصفاة وبين ما يشوب حياة الناس من الأشر والبطر والغرور . ثم انظر إليه وقد اختاره الله لخير ما يؤثر به عبداً من عباده ، وحمله أثقل أمانة حملها أحداً من خلقه ، فاذا هو باق هذا العبء الثقيل جلداً ، صبوراً عليه ، ناهضاً به ماضياً فيه ، لا يعرف كلالاً ولا ملالاً ولا فتوراً ، لأن الله قطع الأسباب بين نفسه المصفاة وبين ما يشوب حياة الناس من الكلال والملال والفتور

ثم انظر إليه يذوق الثكل بعد أن ذاق اليتم ، ويمتحن في نفسه وسمعته ، ويمتحن في صحبه وأولى نصره ، ويمتحن في بنيه ، ثم يمتحن في زوجه التي جعلها الله له رحمة يسكن إليها ويعتز بها ، ثم يمتحن في دينه ، ثم يمتحن في كل شيء ، ثم يمتحن في كل إنسان ، فاذا هو كما هو ، باسم الكهولة كما كان باسم الشباب وكما كان باسم الصبي ، لا يعرف الضعف ولا اليأس ولا هذا الاكتئاب المقيم إليه سبيلاً ، لأن الله قطع الأسباب بين نفسه المصفاة وبين الضعف واليأس والاكتئاب المقيم

ثم انظر إليه وقد أنكر قومه وأنكره قومه ، وقد ضاقت به مكة وضاق به ما حول مكة ، وقد لقي المحن التي لا تحتمل والمكروه الذي لا يطاق ، فلم يدركه نكول ولا استسلام ، وإنما فتحت له أبواب الأمل ، وفرج عنه تأييد الله لما تضايق من الأمر ، فاذا هو يهاجر إلى يثرب ، أفتراه اطمأن فيها إلى الدعة ونعم فيها بالخفض والثراء ؟ كلا ، ما هذه الحروب التي لا تنقضي ، والتي يمتحنه الله فيها بالنصر حيناً وبغير النصر حيناً آخر . ما هذا الجهد الذي لا ينقضي ؟ ما هذا الضيق الذي يضطره أحياناً إلى الجوع ؟ ما هذه الخيانات تأتيه من المنافقين ؟ ما هذه الخيانات تأتيه من حلفائه من يهود ؟ ما هذا الموت يتخطف أعز أصحابه عليه وآثرهم عنده ؟ أفتراه ينثني لذلك أو ضعف عن احتماله ، أو اعتراه شيء من ذلك إلى أن يحيد عن طريقه المستقيمة قيد شعرة ؟ كلا ! لأن الله جعل نفسه الكريمة مضاء كلها ، وإباء كلها ، وصبراً كلها ، وثقة بالله كلها . ثم انظر إليه وقد تقدمت به السن ، ولم يبق له من بنيه وبناته الا فاطمة رحمها الله ، وإذا الأيام تبسم له ، وإذا الأمل يشرق أمامه وإذا البشرات ينبئه بأن الله قد رزقه غلاماً فيسميه باسم أبيه ابراهيم ، وإذا قلبه مسرور محبور ، وإذا هو يشرك المسلمين معه في سروره وحبوره فيبشرهم بما بشر به ، ويجد المسلمون أن عينه قد قرت فتقر عيونهم ، وأن نفسه قد طابت فتطيب نفوسهم ، وأن قلبه الكريم يتفتح للأمل فتتفتح قلوبهم للآمال ، ولكن الله يأبى الا أن يمتحنه شيخاً كما امتحنه صبياً وشاباً وكهلاً وإذا ابراهيم ينزع منه ولما يتم الرضاع . أفتراه جزع لذلك أو أدركه ما يدرك الشيوخ من وهن وضعف . كلا . إن الله قد قطع الأسباب بين نفسه المصفاة وبين الوهن والضعف . لم يتم ابراهيم رضاعه في الدنيا فسيتمه في الجنة . وانظر إلى أبيه وإنه ليمسي في جنازته محزوناً ، ولكن حزن الكرام لا حزن اليائسين ولا حزن القانطين ، وإنه ليقوم على قبره وإنه ليعنى بتسوية القبر وترويته وصب الماء عليه ، وإنه لينصح للمسلمين إذا عملوا عملا أن يتموه وإن لم يكن لذلك غناء ظاهر ، لأن من كمال العقل أن يحسن الرجل ما يعمل . ثم انظر إليه يعلن إلى ربه أنه راض بقضائه ، مذعن لأمره مؤمن بحكمته ، ويعلن إلى ابنه أنه محزون لفقده . ثم انظر إليه إن عينيه الكريمتين لتدمعان . وما يمنعه أن يبكي وإن البكاء ليتم مروءة الرجل أحياناً ؟ ولكن انظر إليه ، أترى شيئاً من حياته قد تغير ؟ أترى شيئاً من رأيه في الحياة قد تغير ؟ كلا . ما كان للاحداث في هذه الدنيا أن تغير نفساً هي أكبر من الدنيا ؟

قلت لهذا الخيال ما رأيت كاليوم خيالا عاقلاً رشيداً . إن في حديثك لعبرة لمن أراد أن يعتبر . قال وأي غرابة في أن يعقل الخيال ويرشد إذا تحدث عن محمد ، وإن كان من طبعه الطموح والجموح ؟ . قلت لأنقلن حديثك هذا إلى صديق محزون جزع . قال : انقله راشداً إلى صديقك والى كل محزون جزع ، فما أرى أن مسلما يتمثل حياة محمد من هذه الناحية من نواحيها ثم يعرف اليأس أو الجزع إلى قلبه سبيلا ؟

طه حسين